الأستاذ: قوراري السعيد.

اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).

الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD

المحاضرة 14: النثر الجزائري القديم.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على بعض فنون النثر الجزائري القديم، ويقف على بعض خصائصه.

مراحل الدرس:

لمحة عن الأدب الجزائري القديم.

النثر الجزائري القديم.

بعض خصائص النثر الجزائري القديم.

ملخص المحاضرة:

إن الحديث عن النثر الجزائري القديم يقتضي طرح أسئلة تثير جدلا معرفيا وتتمحور إشكالية هذه الأسئلة حول هل يوجد فعلا نثر جزائري قديم؟ إذا كان موجودا هل نجح ام فشل؟ من الذي أنجزه ؟ ماهي الإضافات على مستوى الخصوصية والمضمون ماهي خصوصيته؟ ماهي ماهيته ؟

المحاضرة 14: النثر الجزائري القديم .

الأدب الجزائري القديم هو مجموع الأعمال الأدبية والنصوص التي كتبت من قبل كتاب جزائريين، عاشوا في الجزائر أو قضوا فيها حقبة معينة من حياتهم أين تفاعلت مخيلتهم، والواقع الجزائري فعكسوا سيمات هذا المجتمع، من خلال موضوعات تعد جزءامن خصوصية الثقافة الجزائرية القديمة.

ويمثّل النثر الجزائري القديم مادّة نصّيّة غنية وخصبة، فأمّا وجه غناها فيتمثّلُ في حجم المادة النثرية وتعدد مباحثها، واختلاف أجناسها، وتباين أنواعها. لقد عرف التراث الأدبيّ الجزائريّ أجناساً نثرية عدة فبدءاً بالأمثال، والخطابة، والقصص، والنوادر، والحكايات، والمنامات، استطاع التراث الأدبيّ الجزائري إعادة النظر في سجل معارفه ومنظومة بيانه.

وأمّا وجه خصوبة مادة النثر الجزائري القديم فيرجع إلى تعدد الأطر والمجالات الموضوعية التي عالجتها النصوص، فقد استطاع النثر الجزائري القديم مقاربة موضوعاتٍ ومفاهيمَ لم يتمكّن الشعر الجزائري من مقاربتها وتناولها. والناظر في نصيّات النثر الجزائري القديم يكتشف ثراء مفاهيمها المعرفية؛ إذ استطاع النثر الجزائري القديم مُعالجةَ القضايا الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والمذهبية، والأدبية، الأمر الذي يدل على أهمية الناثرين والنثر في رصّ صفوف المجتمعات، وإقامة التنظيمات الاجتماعية، والحفاظ على البنى السياسية والدينية والاجتماعية والعقائدية.

وأول ما نشكف عنه في هذا الصدد ، هو مكانة النثر في عهد الدولة الرستمية، حيث يذهب في "عبد الملك مرتاض" هذا الشأن إلى القول: « وحين نجيء إلى الحديث عن النثر الأدبي على عهد الدولة الرستمية في الجزائر، وهو العهد الذي يمتد تقريباً من منتصف القرن الثاني إلى نهاية الثالث للهجرة(160هـ-296هـ)، نلاحظ أن الدور الأدبي لهذا النثر لم يكن في شيء ثانوياً، بل إننا نرى أنه أسهم بشيء من الفعالية، والحركية في تأسيس الدولة الرستمية، وتطور نظامها، والتمكين لاتساعها، وتخليد معالم حضارتها».

فخلال عهد الدولة الرستمية ازدهرت الخطابة أيما ازدهار، ومن بين الخطباء الذين اشتهروا في ذلك العهد: ابن أبي إدريس، وأحمد التيه، وعثمان بن الصفار، وأحمد بن منصور.

وفيما يتصل بخصائص الصياغة الأسلوبية للخطابة في الأدب الجزائري القديم، فقد كانت متأثرة بأسوب القرآن الكريم، وكانت تضم كثيراً من الاستشهاد بآياته ، بالإضافة إلى الاقتباس من خطب الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم-،كما أن النسج الفني للخطابة كان يجنح إلى السجع، فمعظم الجمل المستعملة مزدوجة الإيقاع ، كما يُلاحظ أن النزعة الدينية بحكم طبيعة موضوع المضمون، ومناسبته ، كانت تغلب على النزعة الأدبية ، فالتصوير الفني ، والتخييل يكاد ينعدم في هذه الخطب.

أما فن الترسل ، أو أدب الرسائل ، فمن بين الذين برعوا في كتابة الرسائل في عهد الدولة الرستمية، الأمير: أفلح بن عبد الوهاب ، وابنه محمد بن أفلح ، وأغلب الرسائل التي كتبت إبان ذلك العهد تتناول موضوع الوعظ، والترغيب، والترهيب، والتذكير بأيام الله، ويظهر على الرسائل التي كتبت ،ووصلت إلى

أيادي الباحثين أنها متأثرة بأسلوب القرآن الكريم ، حيث يقول الدكتور عبد الملك مرتاض عن هذه الظاهرة: «ألفينا النثر الرسائلي ، مثله مثل النثر الخطابي في الأدب الجزائري القديم ، شديد الولع بالاغتراف من الاستشهاد العائم ، والاقتباس المندمج من القرآن العظيم ، ولعل ذلك يعود إلى طائفة من العلل»، من أهم ما ينبغي أن يذكر منها ، هنا:

أ- إن أولئك المثقفين، الأوائل، كانوا يلزمون تلاوة القرآن العظيم، على أساس أنهم كانوا يحفظونه عن ظهر قلب، وكان حفظهم لديهم شرطاً جوهرياً في تحصيل الثقافة، والعلم ، والقيام بالكتابة.

ب-إن تطلعهم إلى مثل تلك الاقتباسات، والاستشهادات ، أو التناصات غير المعلنة(ولكنها لم ترد في نصوصهم على سبيل السطو، ولكن على سبيل التيمن، والتبرك، والتعبد)كان يُراد بها إلى تحلية نصوصهم، وتزكيتها بتلك الآيات الكريمات ،التي كانوا يعومونها تعويماً في نصوصهم.

ج- إن ذلك السلوك الأسلوبي ربما يحدث تلقائياً في بعض الأطوار فيندرج، إذن بحق وفعل، ضمن إطار التناص المكشوف ،والمباشر طوراً، والتناص العائم طوراً آخر.

د- إن الأديب الكبير، كان في رأيهم، هو من يستطيع أن يُوفق إلى بعض تلك الاستشهادات المندمجة، أي التي كان كلامهم يرقى إلى الاندماج فيها، فيتحلى بها، فإنما كان ذلك من كمال التوفيق ،واكتمال الأدوات الكتابية ، وانصقال القريحة المبدعة» .